

التبيان في تفسير القرآن

(522) وفي قلوبهم الكفر، فاطلعه ا على أسرارهم وما في ضمائرهم. اللغة، والمعنى: وقوله " كيف " أصلها للاستفهام، والمراد بها هنا إنكار أن تقع هذه الهداية من ا تعالى. وإنما دخل (كيف) معنى الانكار مع أن أصلها الاستفهام، لان المسؤل يسأل عن أغراض مختلفة، فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان، وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال، وقد يسأل لما يظهر فيه من الانكار، فالاصل فيه الاستفهام، لكن من شأن العالم إذا أورد مثل هذا أن يصرف إلى غير الاستعلام إلا أنه يراد من المسؤل طلب الجواب، فان قيل كيف خص هؤلاء المذكورون بمجيئ البينات مع أنها قد جاءت كل مكلف للايمان قيل عنه جوابان: أحدهما - لان البينات التي جاءتهم هي ما في كتبهم من البشارة بالنبى (صلى ا عليه وآله). الثاني - للتبديد من حال الهداية والتفحيش لتجويزها في هذه الفرقة. وقوله: " وا لا يهدي القوم الظالمين " فالهداية هنا تحتمل ثلاثة أشياء. أولها سلوك طريق أهل الحق المهتدين بهم في المدح لهم والثناء عليهم. الثاني - في اللفظ الذي يصلح به من حسنة نيته. وكان الحق معتمده، وهو أن يحكم لهم بالهداية. الثالث - في ايجاب الجواب الذي يستحقه من خلص طاعته، ولم يحبطهما بسوء عمله. فان قيل كيف أطلق قوله: " وا لا يهدي القوم الظالمين " مع قوله " فأما ثمود فهديناهم " قلنا: لانه لا يستحق اطلاق الصفة بالهداية إلا على جهة المدحة كقوله أولئك الذين هدى ا. فأما بالتقييد، فيجوز لكل مدلول إلى طريق الحق اليقين. وليس في الآية ما يدل على صحة الاحباط، للايمان ولا إحباط المستحق عليه من الثواب، لانه لم يجر لذلك ذكر. وقوله: (كفروا بعد ايمانهم) يعني بعد